الدرس التاسع: الاستقراء والاستنباط

يستند العقل البشري على قدر كبير من التحليل والتفكير لفهم الظواهر المعقدة ودراستها، ويعتبر الاستقراء والاستنباط من الأدوات الأساسية التي تساعدنا على اكتساب المعرفة أو الوصول إليها كما يساعدنا على عملية التطور والتعلم في مجالات البحث عامة، والاستقراء ليس مجرد أداة بحثية بل هو منهج له أصوله وقواعده وقوانينه التي سنقف عندها

إن البحوث الأدبية مثلها مثل باقي البحوث العلمية تستند على أداتي الاستقراء والاستنباط ونقصد بذلك استقراء الحقائق الجزئية واستنباط الحقائق الكلية والقضايا العامة

الاستقراء : مشتق من فعله الثلاثي قرأ ويستقري بمعنى تتبع أو يتتبع وبذلك هو تتبع للمادة العلمية حول موضوع ما في مصادرها أو مراجعها

والبحوث الأدبية مثل البحوث العلوم الطبيعية، فهي تبدأ بالجزئيات وتنتقل منها إلى الكليات، تبدأ بدراسة الخاص وتنتقل منه إلى دراسة العام، فالأساس هو الجزئيات ومثال ذلك فهي تبدأ من قصيدة ثم تقرن إليها قصائد أخرى في عصر معين، لاستخلاص ما تشترك فيه من خصائص أو ظواهر معينة. فالاستقراء يعد عماد البحث الأدبي وقوامه.[1]

أمثلة عن الاستقراء في البحوث الأدبية:

- ✓ المثال الأول: فإذا كان لدي بحث حول القصيدة في العصر العباسي فما أفعله هو التوجه إلى الشعر في العصر العباسي وأستقري وأفحص معانيه وشكله في هذا العصر ثم أنجز البحث.
- ✓ المثال الثاني: إذا ما حاول الطالب أو الباحث كتابة بحث حول الروائي وسيني الأعرج فلابد أن يقرأ ويدون ويفحص إنتاجه الأدبي من أجل التوصل إلى أحكام

دقيقة حول خصائص كتاباته ومواضيعها ومواقفه الأدبية. واستقراء إنتاجاته كاملة يجنب الباحث الوقوع في تعميمات خاطئة.

فالاستقراء هو تتبع الأمثلة الجزئية للوصول إلى قواعد كلية وهو استقصاء للنصوص والإحاطة بها من جميع جوانبها، لأن البحث الأدبي يتعامل مع النصوص وينطلق منها.

ومن هنا يمكننا استنتاج خصائص المنهج الاستقرائي:

- ينطلق من دراسة الخاص إلى العام أو من الجزء إلى الكل .
- يخضع لقوانين السببية في استخلاص الخصائص واستنباطها.

أنواع الاستقراء حسب مجالات البحث:

أولا: الاستقراء التام أو الكامل: ويسميه البعض "استقراء صوريا وهو كما بين أرسطو حكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه فالاستقراء الذي ذهب إليه أرسطو هو الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعا أو هو الحكم على الكلي بما يوجد في بعض أجزائه وهو الاستقراء القائم على التعميم"[2].

ويرى أرسطو أن الاستقراء التام يتألف من تأسيس علاقة بطريقة قياسية بين حد وآخر عن طريق الحد الأوسط فهو يعالج الاستقراء معالجته للقياس من المقدمات نصل إلى النتيجة، ولكن النتيجة لا تقرر شيئا جديدا إذا لم يكم مضمنا في المقدمات وقدم أرسطو مثاله على هيئة القياس كالتالي:

الإنسان والحصان والبغل ....طويلة العمر

الإنسان والحصان والبغل هي كل الحيوانات التي ليست لها مرارة

فكل الحيوانات التي ليست لها مرارة طويلة العمر[3].

مثال في البحث الأدبي:

قلنا أن الاستقراء هو تتبع كل جزيئات الدراسة: فمثلا لو كان موضوع البحث هو صورة المرأة في كتابات واسيني الأعرج، فالباحث هنا مطالب باستقراء كل كتابات وسيني الأعرج واستقصاء وفحص كل موضع تمثلت من خلاله المرأة من أجل الوصول إلى خصائص واستنباطات دقيقة تساعدنا على إصدار الحكم ليمثل لنا القاعدة الكلية ولكن هذا النوع من الاستقراء نجده في حالات خاصة مثل الإحصائيات التي تقوم بها الدولة والتي تحتاج إلى مسح كلي.

ثانيا: الاستقراء الناقص: [4]

هذا النوع يشمل جزءا من عينة الدراسة فقط، أو أمثلة جزئية تنتمي إلى موضوع البحث فقد يكتفي الباحث بأخذ أمثلة محددة من كتابات وسيني الأعرج ثم يقوم بدراستها.

ثالثا: الاستقراء الواسع "الأكثر": هذا النوع يشمل أغلب الجزئيات ولكن ليس الكل، بمعنى أنه يشمل العدد الأكبر من عينات البحث فمثلا إذا بحثنا عن صورة المرأة في كتابات واسيني الأعرج فليس بمقدور الباحث أن يقوم بفحص ومسح كل كتاباته ولكن يستطيع أن يفحص الجزء الأكبر العينة الأوسع من كتاباته وهذا الاستقراء هو المشهور في البحوث الأدبية.

الاستنباط: "والاستقراء يرافقه دائما الاستنباط بل يتخذ من أجله ومن أجل ما يسجل من الخصائص والصفات، فالباحث الأدبي يستقرئ الجزئيات ويحصيها ثم يفحصها ليدون ما يستنبطه من خصائصها وصفاتها الكلية مستعينا على ذلك ببيان الأسباب والدوافع والغايات والنوازع "[5]

والاستنباط هو استنتاج أحكاما جزئية من القاعدة الكلية، أو هو الانطلاق من القاعدة الكلية أو أخذ الأحكام من القاعدة الكلية وتطبيقها على الأمثلة الجزئية، أي أن الاستنباط عكس "الاستقراء فهو يعتمد على القوانين والمفاهيم العامة للتوصل إلى استنتاجات حول حالات خاصة(...) ولابد مع كل استنباط من نصوص يستخرج منها، أما إذا لم يقترن

الاستنباط بنصوص فإنه لا يكون حينئذ استنباطا، بل يكون فرضا (...) والبحوث الأدبية لا تتعامل مع فروض وإنما تتعامل مع نصوص تشتق منها الظواهر والخصائص"[6]

أمثلة عن الاستنباط في الأدب:

إن القصائد الجاهلية تسير على نمط تقليدي واحد وهو النمط التقليدي للقصيدة الجاهلية هذه هي القاعد الكلية، فإذا ما وجدنا شاعرا خلف النمط التقليدي للقصيدة الجاهلية فإننا نحكم على هذا الشاعر بأنه خرج عن النمط التقليدي للشعر الجاهلي وهنا جاء الحكم على هذه الجزئية استنادا للقاعة الكلية أو العامة. بمعنى استنباط حكم جزئي من القاعد الكلية.

للاستقراء والاستنباط أهمية كبيرة يرتكز عليها أي باحث في فهم وتحليل النصوص واستنتاج أنماط وموضوعات عامة من خلال تحليل النصوص، والاستقراء في حقيقة الأمر هو منهجنا في حياتنا اليومية الذي نحاول عن طريقه استنباط الحقائق وفهم تعقيداتها.

محتوى المحاضرة باعتماد المراجع التالية:

---

[1] – ينظر: شوقي ضيف: البحث الأدبي(طبيعته مناهجه، أصوله، مصادره)، ص38.

[2] – عبد الفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمان محمد العيسوي: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، ص84.

[3] – عبد الفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمان محمد العيسوي: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، ص86.

[4] – أحمد نتوف: محاضرة مناهج البحث والتحقيق، رابط المحاضرة http://arabiaclasse.blogspot.com/2011/06/blog-post_9916.html

ينظر أيضا:

[5] – شوقي ضيف: البحث الأدبي(طبيعته مناهجه، أصوله، مصادره)، ص44.

[6] – ينظر: شوقي ضيف: البحث الأدبي(طبيعته مناهجه، أصوله، مصادره)،46.